بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 23-9-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

سلسلة قرأتُ في كتاب

((المواطنة حقوق وواجبات))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسلهُ ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته وأستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر : 85]

وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان : 38 ، 39]

قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكّه العدل أو يوبقه الجور)) [أحمد والطبراني والبيهقي]

وجاء في الحديث: **((ثلاث من أوتيهنّ فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود: العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية))** [الحكيم في نوادر الأصول، وابن النجار]

قال الخليفة المأمون: إن أول العدل أن يعدل الرجل على بطانته، ثم على الذين يلونهم، حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى.

وقال المنصور للمهدي: يا أبا عبد الله، إن الخليفة لا يُصلِحه إلا التقوى، والسلطان لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يُصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعدل أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً مَن ظَلَم مَن هو دونه.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الخامسة في سلسلة: (**قرأت في كتاب**)، أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم: (**الإسلام والعدالة**).

وعنوان هذه الخطبة عنوان خطبة ألقاها رئيس وزراء ماليزيا السابق الدكتور مهاتير محمد في العاصمة الماليزية (كوالا لمبور) سنة 1993م، ونَشَرَتها مع غيرها من خطبه وكلماته دار الفكر في كتاب اسمه (الإسلام والأمة الإسلامية).

ومهاتير محمد من مواليد 1925م، يحمل إجازة في الطب، من سنغافورة، عمل في الطب ثم تفرّغ للعمل السياسي سنة 1974م، وشغَل منصب رئيس وزراء ماليزيا منذ 1981م.

واستطاع أن يقود بلاده إلى مستوى متقدم من التنمية والتقدم؛ حتى إنها اعتُبِرت واحدة من أهم ثماني عشرة دولة في العالم في التجارة الخارجية.

وخلال تولّيه حققت ماليزيا معدلات نموّ ثابته وصلت إلى 8-9% على مدى عشر سنوات متتالية، كما تضاعف متوسط دخل الفرد الماليزي سبع عشرة مرة، من ستمائة دولار عام 1980 إلى أكثر من عشرة آلاف دولار عام 2001، وارتفعت قيمة الصادرات الماليزية من خمسة مليارات دولار عام 1980 إلى نحو مائة مليار دولار عام 2002م.

خطب مهاتير محمد عن الإسلام والعدالة فقال:

العدالة في الإسلام تعني وضع الشيء في مكانه الصحيح، وفي هذا السياق فإننا نجد أن العدالة لها ثلاثة جوانب في غاية الأهمية.

الأول: وضع الشخص المناسب في المنصب المناسب أو الوظيفة التي تتلاءم مع إمكاناته.

والثاني: إصدار الأحكام أو اتخاذ القرارات بما يتماشى مع الموقف أو مع الشخص الذي يتم إصدار الحكم عليه أو اتخاذ القرار بشأنه.

والثالث: توزيع الثروة وحق الملكية بشكل عادل، بحيث ينالها الذين يستحقونها عن جدارة.

ثم راح يشرح هذه الثلاثة الجوانب في العدالة، فيقول في الجانب الأول:

إن الإسلام يطالبنا بإسناد الوظائف عامة والوظائف ذات المنصب العالي خاصة لأكثر الناس تأهيلاً وكفاءة ؛ لأننا إذا وظّفنا شخصاً ما في موقع هو غير متخصّص فيه ولا خبرة له به نكون قد ارتكبنا خطأين منافيين للعدالة.

أولهما أن هذا الشخص لن يستطيع القيام بمهامه، الأمر الذي يبثّ في نفسه الإحساس بالإحباط.

وثانيهما حين لا يقوم بمهامه بالشكل الصحيح يُلحِق الضرر بالمجتمع.

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قلّد رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين.

وقال رضي الله عنه: من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين.

حوكم سكرتير أحد الأحزاب عام 1962 لأنه كان عميلاً لدولة معادية، فقيل له: إنك سكرتير الحزب ومؤسسه ورائده، وقد خَدَمتَه عشرين عاماً، فماذا صنعت لخدمة الأجنبي؟ قال: كنت أضع الرجل في العمل الذي لا يناسبه.

غزت بعض جيوش عمر بلاد فارس، حتى انتهوا إلى نهر ليس عليه جسر، فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل الماء لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، وكان اليوم شديد البرد، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلتُ الماء أن أموت، فأكرَهَه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه، يا عمراه، ولم يلبث أن هلك.

فبلغ ذلك عمر –رضي الله عنه– وهو في سوق المدينة، فقال: يا لبيك يا لبيك، وبعث إلى أمير الجيش فنزعه، وقال: لولا أن تكون سنة لأَقَدْتُ منك، لا تعملْ لي على عمل أبداً.

فأول جوانب العدالة كما يراها مهاتير محمد: وضع الشخص في المنصب أو الوظيفة التي تتلاءم مع إمكاناته وقدراته.

وثانيها: إصدار الأحكام أو اتخاذ القرارات بما يتماشى مع الموقف أو مع الشخص الذي يتم إصدار الحكم عليه أو اتخاذ القرار بشأنه.

وفي سبيل تحقيق العدالة في هذا الجانب لا بدّ من مراعاة حسن اختيار القاضي، والتأكد من صدق الشهود والتثبّت من تمحيص الحقائق، وتحرير سلطة القضاء من أي تسلط أو هيمنة إلا سلطان الحق وهيمنة العدل.

وكان مهاتير محمد يقول: إن العدالة البطيئة تعني الظلم.

يقول أحد كبار محامي هذه البلدة: إن بين يديّ اليوم قضايا يترافع فيها ورثة الورثة.

أما الجانب الثالث الأخير من جوانب العدالة الثلاثة فهو توزيع الثروة وحق الملكية بشكل عادل.

يقول في بيانه:

إن عملية توزيع الفُرَص لتكوين ثروات يجب أن تتم بأقصى قدر من العدالة، مَثَلها في ذلك مَثل توزيع الثروات تماماً، خصوصاً تلك المتعلقة بمجال التعليم والتجارة وغير ذلك من المجالات.

ومن أجل هذا النوع الدقيق من العدالة كان سيدنا عمر رضي الله عنه لا يُولي أحداً من أقاربه، ولا يعطي الولاية من يطلبها، ويمنع ولاته من مزاولة التجارة، ويحصي ثروة عماله عند تعيينهم ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية مما لا يدخل في عداد المعقول، ويتبع سياسة: من أين لك هذا؟

رووا أن والياً عمل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه الحارث بن كعب بن وهب، فظهر عليه الثراء، فاستدعاه عمر وسأله عن مصدر ثرائه، فأجاب: خرجت بنفقة معي فاتّجرتُ بها فربحت، فقال عمر: أما والله ما بعثناكم لتتّجروا، وإنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً، وأخذ منه ما حصل عليه من ربح.

ختم مهاتير محمد حديثه عن العدالة في الإسلام فقال:

نحن مطالبون بإلقاء الضوء الكاشف على مفهوم العدالة في الإسلام، بما يؤدي إلى تصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة، لنُقنع العالم أن بإمكانه التعلُّم والإفادة من الحكمة الكامنة في العدالة الإسلامية، التي تكفل إزالة شتى أوجه الظلم الناتجة عن الغطرسة التي يمارسها الأقوياء على عالم اليوم.

جاء في الأثر: ((**العدل حسن، ولكن في الأمراء أحسن، والسخاء حسن، ولكن في الأغنياء أحسن، والورع حسن، ولكن في العلماء أحسن، والصبر حسن، ولكن في الفقراء أحسن، والتوبة حسن، ولكن في الشباب أحسن، والحياء حسن، ولكن في النساء أحسن**)) [مسند الفردوس].

أيها الإخوة:

هذا شيء مما قرأت في الإسلام والعدالة.

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قريةٍ ولا أهل بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.**

وما من أهلِ قريةٍ ولا أهلِ بيتٍ ولا رجلٍ بباديةٍ كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)). [ابن مردويه وابن كثير]

و الحمد لله رب العالمين